صناعة الإسلاموفوبيا في أوروبا

مع أن الارتياع من الإسلام والخشية من المسلمين باتا واقعاً سائداً في المجتمعات الأوروبية، إلا أن متابعة هذه الظاهرة ما لبث محدودا. الأمر الذي انعكس على سُبُل التصدي لها والتنبه لمخاطرها. فليست هناك أبحاث وافرة عن الظاهرة، بل غالبا ما يرد موضوع الإسلاموفوبيا مدرجا ضمن الكتابات التي تعالج مسائل الاندماج والهجرة. لعل الأمر عائدٌ بالأساس إلى كون الدراسات السوسيولوجية، بشأن الإسلام والمسلمين، هي دراسات معاصرة، شهدت انطلاقتها مع حقبة السبعينيات، بعد أن غادر الإسلامُ الماضيَ الإتنوغرافيَ الاستشراقيَ وبات ضمن الحاضر السوسيولوجي.

عز الدين عناية باحث وأكاديمي تونسي، أستاذ في جامعة روما

tanayait@yahoo.it

صناعة الإسلاموفوبيا في أوروبا

عزالدين عناية

أستاذ تونسي بجامعة روما – إيطاليا

لن نذهب بعيدا في تتبع نشأة مصطلح الإسلاموفوبيا، الذي شهد رواجا منذ مطلع تسعينيات القرن الماضي[١]، بل ما يعنينا بالأساس وهو السياق التاريخي الذي ولّد هذا المصطلح للتعبير عن ظاهرة بات الحديث عنها متداولا. ثمة مناخ سلبي يسود في الغرب عن الإسلام والمسلمين، التأمت عناصره منذ نجاح الثورة الإسلامية في إيران، وما أعقبها من تطورات متسارعة مع قضية سلمان رشدي (إنجلترا ١٩٨٨)، والفولار الإسلامي (فرنسا ١٩٨٩)، وارتدادات سقوط جدار برلين (١٩٨٩)، إلى أن بلغت المسألة ذروتها مع آثار أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١. هذا المناخ ولّد ضغطا على المسلمين في أوروبا امتدّ على عقود ولا يزال، مخلّفا تضييقا وردود فعل متباينة، أُتبعت بإصدار قوانين استهدفت المسلمين[٢]. وَرَث هذا المناخُ الحانق موجةَ عداءٍ سابقة للعرب، كانت أحداث باريس في عام ١٩٦١، عشية استقلال الجزائر، أبرز فصولها، كما ربط بين الظاهرتين دومينيك فيدال في مقاله الصادر في صحيفة "**لوموند دبلوماتيك**" الفرنسية بعنوان من "**العربوفوبيا إلى الإسلاموفوبيا**"[٣]. وقد دفعت تلك الأجواء الراحل إدوارد سعيد إلى التفطن إلى تحويل الحمولة الدلالية للاسامية من اليهود إلى العرب والمسلمين[٤].

---

١. مع أن مصطلح الإسلاموفوبيا حديث العهد فإن الظواهر التي يحاول الإحاطة بها تعود إلى تاريخ أبعد. وقد بدأ شيوع المصطلح منذ نشر نتائج استطلاع "لجنة مسلمي بريطانيا والإسلاموفوبيا" (*Commission in britsh Muslims and Islamophobia*) سنة ١٩٩٧.

٢. صدرت في بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا، بين العامين ٢٠٠١ و ٢٠٠٥، جملة من القوانين ضد الإرهاب، واتُّخِذت حزمة من التدابير استهدفت بالأساس المسلمين، زادت من تضييق الخناق عليهم.

3. Dominique Vidal, «De l'arabophobie à l'islamophobie», *Le Monde diplomatique*, 11/2003.

4. Edward Said, *Orientalismo*, Feltrinelli, Milano 2004, pp. 282-283.

النخبة بين صنع الإسلاموفوبيا والتصدّي للظاهرة

مع أن الارتياع من الإسلام والخشية من المسلمين باتا واقعاً سائداً في المجتمعات الأوروبية، إلا أن متابعة هذه الظاهرة ما لبث محدودا. الأمر الذي انعكس على سُبُل التصدي لها والتنبه لمخاطرها. فليست هناك أبحاث وافرة عن الظاهرة، بل غالبا ما يرد موضوع الإسلاموفوبيا مدرجا ضمن الكتابات التي تعالج مسائل الاندماج والهجرة. لعل الأمر عائدٌ بالأساس إلى كون الدراسات السوسيولوجية، بشأن الإسلام والمسلمين، هي دراسات معاصرة، شهدت انطلاقتها مع حقبة السبعينيات، بعد أن غادر الإسلامُ الماضيَ الإتنوغرافيَ الاستشراقيَ وبات ضمن الحاضر السوسيولوجي[٥]. وحتى آباء علم الاجتماع في الغرب، أمثال أوغست كونت وإيميل دوركهايم، فقد غاب الإسلام تقريبا من مدوناتهم، باستثناء إيراد مختصر لدى ماكس فيبر في كتابه غير التام "**علم اجتماع الأديان**"، الذي تطلّع فيه إلى إتمام عمل مقارن. لكن كافة هذه العوامل لا تبرر قلة الاهتمام بظاهرة الإسلاموفوبيا، ففتور الانشغال الإيطالي والفرنسي –على سبيل المثال– يأتي جراء غلبة التركيز على ما يثيره الإسلام من قلاقل، لا على ما هو عرضة له من مشاكل. هذا علاوة على تواجد مناخ سياسي في أوروبا، الإسلام فيه مدان، وليس من الهين تحويله إلى مدين، يمتد من التغاضي عن ظاهرة الإسلاموفوبيا إلى التبخيس من شأنها[٦]. تقول أنّاماريا ريفيرا "لا تشكّل مسائل كره الأجانب ولا العنصرية مواضيع حاضرة في الخطاب العمومي في إيطاليا. وهي عادة مواضيع خاضعة للرقابة

> حتى آباء علم الاجتماع في الغرب، أمثال أوغست كونت وإيميل دوركهايم، فقد غاب الإسلام تقريبا من مدوناتهم، باستثناء إيراد مختصر لدى ماكس فيبر في كتابه غير التام "علم اجتماع الأديان"

---

[5]. Leila Babès, *L'altro islam. Un'indagine sui giovani musulmani*, Edizioni Lavoro, Roma 2000, p. 26.

[٦]. راجع دور النخبة الفرنسية في اختلاق "مشكلة الإسلام" بدل السعي لتناول قضايا الإسلام، في الكتاب المشترك لعبداللالي حجات ومروان مُحَمَّد "**الإسلاموفوبيا. النخبة الفرنسية وصناعة مشكلة الإسلام**":

Abdellali Hajjat, Marwan Mohammed, *Islamophobie. Comment les élites françaises fabriquent le "problème musulman"*, La Découverte, Paris 2013.

الضمنية من قِبل وسائل الإعلام والمؤسسات؛ بل حتى في فضاء الدراسات المختصة فهي تُعَدّ غير ملائمة وغير لائقة"[٧].

وفي إيطاليا على سبيل الذكر، لا تتعدى الأعمال الصادرة عن الظاهرة أربعة أعمال[٨]، حيث تبقى المسألة متداوَلة في وسط ضيق بين متابعي قضايا الهجرة والإسلام في الغرب. ومن بين الذين أولوا المسألة اهتماما، نجد أناماريا ريفيرا (٢٠٠٢)، وستيفانو أليافي (٢٠٠٣)، ومونيكا ماساري (٢٠٠٦)؛ وتبقى النخبة الأوروبية المتابعة لقضايا الإسلام مشغولة، في مجملها، بكون الإسلام يمثّل مشكلة وتهديداً وخطراً (الاندماج، الإرهاب، المخاطر الأمنية، التحديات المستقبلية) وليس ضحية. وحتى الراهن لم تخلق الشرائح المتضررة من الإسلاموفوبيا أدواتها ووكلاءها لمعالجة الظاهرة، مع استثناءات قليلة في الواقع الفرنسي.

مصطلح الإسلاموفوبيا المثقل بالدلالة الدينية، ينبغي ألا يخفي الانحرافات في المقاربة، من خلال اختزال الإسلاموفوبيا في بُعْد ديني وإغفال عمقها الاجتماعي.

حريّ أن نشير أيضا إلى أن مصطلح الإسلاموفوبيا المثقل بالدلالة الدينية، ينبغي ألا يخفي الانحرافات في المقاربة، من خلال اختزال الإسلاموفوبيا في بُعْد ديني وإغفال عمقها الاجتماعي. فليست قضايا المهاجر المسلم قضايا لحم حلال وفولار وصومعة، بل المسألة تتلخص في حيف اجتماعي، قوامه العزل المقصود في الشغل، والاستبعاد على وجه العمد من مواقع النفوذ لشرائح واسعة. ولعل أخطر مستويات الإسلاموفوبيا حين تصدر من أعلى، وتكون مدعومة بقرار مؤسساتي[٩]. تتحدث جوسلين شزاري عن الصلة بين الأصول العرقية والدين والفقر، وهي معادلة في منتهى الخطورة في حالة المهاجرين المسلمين[١٠]. وقد كنا أشرنا في

---

7. Annamaria Rivera, *Estranei e nemici. Discriminazione e violenza razzista in Italia*, DeriveApprodi, Roma 2003, pp. 10-11.

8. Alietti A.; Padovan D.; Vercelli C., *Antisemitismo, islamofobia e razzismo*, Editore Franco Angeli 2014; Enrico Galoppini, ***Islamofobia: attori, tattiche, finalità*** **2009**.

9. Marchi Alessandra, «La Francia e l'islamofobia», *Jura Gentium*, Firenze 2010.

10. Jocelyne Cesari, *L'Islam francese: una minoranza religiosa in costruzione*, Edizioni Dedalo, Bari 2002, pp. 49-50.

دراسة منشورة إلى "طفو نعرات الهوية حين تغيّب الحقوق"[١١]، تأكيدا على أخذ المشكل الاجتماعي تلونات أنثروبولوجية في غياب الحلول الصائبة.

يورد مؤلّفا "**الإسلاموفوبيا. النخبة الفرنسية وصناعة مشكلة الإسلام**" أنه أثناء الإضرابات التي شنها عمال شركتي سيتروان وتالبو الفرنسيتين سنة ١٩٨٢، جرى اتهام المحتجين من قبل تحالف الأعراف والساسة والإعلام بالأصولية، لأن شقا واسعا من المحتجين كانوا مغاربة، أدرجوا ضمن قائمة المطالب إقامة بيت صلاة. خلّفت الاحتجاجات حينها ترحيل العديد خارج فرنسا، واختزال القضية في مبررات دينية، بعد وصْف الإضرابات بأنها "شيعية" خصوصا وأن الفترة كانت قريبة عهد بالثورة الإيرانية[١٢].

تصور عقلية الأوروبيين الغزاة، خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر. لا يزال مجديا في فهم الوقائع الأوروبية في تعاملها مع الآخر القادم من العالم الإسلامي في تاريخنا الراهن

ترافق أزمة سياسة الهجرة مع بروز صنّاع الإسلاموفوبيا

صاغ عالم الإناسة البلغاري الفرنسي تزفيتان تودوروف (vetan TodorovTz)، في مؤلف بعنوان "**غزو أمريكا**"[١٣]، تصورا نبيها عن عقلية الأوروبيين الغزاة، خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر. لا يزال هذا التصور مجديا في فهم الوقائع الأوروبية في تعاملها مع الآخر القادم من العالم الإسلامي في تاريخنا الراهن. فقد استعاد تودوروف في بنائه الأنثروبولوجي مختلف المواقف التي اتخذها الغزاة أثناء مواجهتهم الهنود الحمر، والتي تراوحت بين القول بالذوبان والتمييز:

* من جانب يتيسر لذلك الآخر أن يصير مثلنا، وملامحه المختلفة لن تحول دون أن يكون شبها لنا.

* ومن جانب آخر لن يتيسّر لذلك المختلف أن يكون مثلنا، مع استبعاد إمكانية تحوله إلى كائن مساير لنمط عيشنا ولقواعدنا الاجتماعية.

وقلّة من هؤلاء الغزاة من تبنوا موقفا وسطا، ينبني على مراعاة ذلك الآخر واحترام خصوصياته. وكانت القناعة آنذاك أن الآخر ينبغي أن يفتّش عن التلاؤم معنا، إذ الحقّ والخير يدوران حيثما درنا. والغزاة كما

---

١١. **الوجود الإسلامي في الغرب الوقائع والمصائر**، مجلة الكوفة، العراق، خريف ٢٠١٢، ص: ٥٨-٦٠.

12. Abdellali Hajjat, Marwan Mohammed, ***Islamophobie***, p. 106.

13. T. Todorov, La conquista dell'America, Einaudi, Torino 1992.

يذكر تودوروف: "بحثوا في وصف الهنود الحمر، عن مصطلحات، استوحوا إياها من تاريخهم... **سمى الإسبان أولى المعابد التي عثروا عليها مساجدَ، والمدينة الأولى التي صادفوها القاهرة الكبرى**"[١٤].

وفي أوروبا المعاصرة أتى التعاطي مع المهاجرين المسلمين تقريبا وفق المقاربتين المذكورتين: – اعتمد الفرنسيون التذويب، وطغى على مجمل سياسات الهجرة ضربٌ من اليقين، مفاده أن الوافِد سوف ينصهر ويتلاشى في ذلك المدى الجارف، وشُبِّه للكثيرين أن الجموع المهاجرة، التي غدت في الحقيقة مستوطنة، سائرة في نسق من الذوبان لا مناص منه.

– ورفض الألمان الاعتراف بظاهرة الهجرة على أراضيهم، معتبرين القادمين للعمل ضيوفا وقتيين، حتى لمن قُدّر له المولد هناك، ضمن ما كان يُعرَف بـ"العمّال الضيوف" (Gastarbeiter)[١٥]، ليتبين الفشل الذريع لتلك السياسة لاحقا. حذت هولندا حذو ألمانيا في تلك السياسة.

ثمة ثلاثة أطراف مروّجة للإسلاموفوبيا في جلّ المجتمعات الأوروبية، وهي: اليمين المتطرف، وبعض الأطراف الكنسية؛ وطائفة من المثقفين.

ولإدراك الأطراف الفاعلة في التصدي للإسلاموفوبيا لا بد من تحديد صنّاع هذه الظاهرة. تُميّز الباحثة مونيكا ماسّاري في مؤلف "**الإسلاموفوبيا. الخوف من الإسلام**"[١٦] ثلاثة أطراف مروّجة للإسلاموفوبيا في إيطاليا، وهي: اليمين المتطرف، الذي تمثل "رابطة الشمال" أبرز عناصره؛ وبعض الأطراف الكنسية؛ وطائفة من المثقفين، وهي الفئات نفسها الحاضرة تقريبا في جلّ المجتمعات الأوروبية:

* لماذا يحترز اليمين على الإسلام ولا سيما اليمين المتطرف؟ يقول عالم الاجتماع الفرنسي ألان توران في مؤلفه "**حرية مساواة اختلاف. هل بالإمكان العيش معا؟**"[١٧]: "الآخر، والعربي بالخصوص، يتم رفضه لأنه يمثل صورة منيعة، رسوخا ثقافيا لا نقدر على مجابهته"[١٨]. ونزعم أن هناك إصرارا ضمنيا في الأوساط اليمينية على النقاء العرقي والديني في زمن شهدت فيه المجتمعات تحولات عميقة. لذلك ثمة استعادة

14. Ibid., p. 132.
15. Stefano Allievi, *L'Occidente di fronte all'Islam*, Franco Angeli, Milano 1996.
16. Monica Massari, *Islamofobia. La paura e l'islam*, Edizioni Laterza, Roma-Bari 2006, p. 92.
17. Alain Touraine, Libertà, ugualianza, diversità, Il Saggiatore, Milano 1998.
18. *Ibid.*

متكررة في الخطاب السياسي لـ"رابطة الشمال" أن فضاءها هو الفضاء الوحيد في جنوب أوروبا الذي عجز الإسلام عن اجتياحه. كما أن ذلك الرفض يقابله تلهّفٌ على السواعد الشابة مع نفي لهوية ذلك العامل، بما يعني الإقرار للمهاجر المسلم بأن قدومه للعمل لا غير، وأن أداء الصّلاة لا يشكّل جانبا من عقد العمل بين الطّرفين، الأمر الذي يلغي عنوةً حقّا أساسيا متمثّلا في حرية التديّن[١٩].

وجراء العداء السافر لرابطة الشمال للإسلام، عبّر بعض الناشطين في منطقة لودي (Lodi) في السادس من أكتوبر ٢٠٠٠ عن معارضتهم إنشاء فضاء لأداء الشعائر الإسلامية بصبِّ كميات من الفضلات البشرية (بول وغائط) وروث للخنازير في المكان المزمع إقامة المسجد عليه بقصد تدنيسه. أُستُدعيت الحادثة بعد سنوات، باقتراح نائب رئيس مجلس الشيوخ روبارتو كلديرولي إحداث "يوم الخنزير" "Maiale day" (٢٠٠٧)، لتدنيس المواضع التي يرتادها المسلمون لأداء شعائرهم[٢٠].

وليس ما صرّح به الرئيس الفرنسي الأسبق جيسكار ديستان (سنة ٢٠٠٣) بشأن مسوغات رفض انضمام تركيا إلى المجموعة الأوروبية بأن "لها ثقافة مختلفة ومقاربة مغايرة، وطابع حياة مختلف كليا" ببعيد عما قاله رئيس الوزراء الإيطالي الأسبق برلسكوني عن تفوق الحضارة الغربية (٢٠٠١)، فاليمين يتكلم لغة متشابهة، فيها اليمين المتطرف أكثر جرأة وصراحة.

بدأت هواجس الكنيسة تجاه المهاجرين المسلمين منذ مطلع التسعينيات.

* نأتي إلى الطرف الثاني في صنع الإسلاموفوبيا، وهو شق تابع للكنيسة الكاثوليكية. فقد بدأت هواجس الكنيسة تجاه المهاجرين المسلمين منذ مطلع التسعينيات. وكانت رسالة الكردينال كارلو ماريا مارتيني رئيس أساقفة ميلانو "**نحن والإسلام**" (١٩٩٠) أولى الرسائل في هذا الصدد[٢١]. عرضت الرسالة الخطوط الكبرى للتعامل مع المسلمين في الزمن المعاصر، ضمن خطين: كَنَسي تساءل عما يمثله الإسلام في تاريخ الخلاص بالنسبة للمسيحي؛ ومدني من خلال اشتراط القبول بالتشريعات السائدة كشرط للاندماج في النسيج الاجتماعي.

---

[١٩]. إنْزو باتشي، **الإسلام في أوروبا. أنماط الاندماج**، ترجمة: عزالدين عناية، كلمة، أبوظبي ٢٠١٠، ص: ٢١.

[20]. Monica Massari, *Islamofobia. La paura e l'islam*, p. 91; G. Fregonara, *"Maiale day" anti-moschea, sfida di calderoli*, in "Corriere della sera", 14-09-2007, p. 15.

[21]. C.M. Martini, *Noi e l'islam*, in "Il Regno-documenti" 3 (1991) 88 ss.

لقد مثّل المهاجر المسلم عنصر قلق دائم للكنيسة. وفي هذا السياق جاءت تصريحات أسقف كومو المونسنيور أليساندرو ماجوليني سنة ١٩٩٨ منددا بالغزو التدريجي للبلد؛ وأيضا تصريحات رئيس أساقفة بولونيا الكردينال جاكومو بيفي، الذي عدّ الإسلام، خلال العام ٢٠٠٠، خصما للمسيحية، داعيا لإعطاء الأولوية للمهاجرين المسيحيين وغير المسلمين، باعتبار المسلمين غرباء عن "إنسانيتنا"[٢٢].

ودائما في نطاق التخوف من المسلمين، أصدرت رئاسة المؤتمر الأسقفي الإيطالي سنة ٢٠٠٥ وثيقة، أعربت فيها عن عميق انشغالها بقضية الزواج المختلط بين الكاثوليكيات والمسلمين[٢٣]. ناهيك عن العودة بشكل متكرر للتوصية بعدم إتاحة الفرصة للمسلمين لاستعمال فضاءات راعوية بقصد أداء الشعائر أو القيام بأنشطة. لكن السلوك الكاثوليكي المتشدد ينبغي ألا يخفي التنوع المسيحي في أوروبا. فمثلا في سويسرا، عبّرت "**شبكة سويسرا الإنجيلية**" –Réseau Evangélique Suisse– الهيئةَ التمثيليةَ الرئيسية للإنجيليين، عن رفضها التصويت لصالح قانون يمنع تشييد الصوامع، وأعربت في بيان صادر عن شجبها لصياغة قاعدة خاصة بطائفة دينية بعينها[٢٤].

السلوك الكاثوليكي المتشدد ينبغي ألا يخفي التنوع المسيحي في أوروبا.

ومن المفارقات اللافتة في عصرنا، أن الدين المهاجر المستضعَف، بات يستجير بالعلمانية وبالدولة المدنية طلبا للمقام الآمن، ولا يجد ذلك المأمن وتلك النُّصرة عند رفيقه في رحلة الإيمان. في وقت يُفترض فيه أن يكون المؤمن "الإبراهيمي"، بين أهله وملّته، حين يكون في الحاضنة الحضارية لدين من الأديان الثلاثة، لكنه في الحقيقة لا يجد تلك السكينة، وغالبا ما يلقى حرجا، ويأخذ صورة الخصم والمهدّد القادم من وراء البحار[٢٥].

---

[22]. Renzo Guolo, *Xenofobi e xenofili. Gli italiani e l'islam*, Laterza, Roma-Bari 2003.

[23]. *I matrimoni tra cattolici e musulmani in Italia*, Notiziario CEI 5 (5-5-2005) 139-165.

[٢٤]. سباستيان فات، "**الإنجيليات الجديدة واهتماماتها السياسية والاستراتيجية**"، مجلة **التفاهم**، عمان خريف ٢٠١٣، ص: ١٤٠.

[٢٥]. راجع مؤلفنا: **الأديان الإبراهيمية. قضايا الراهن**، توبقال، الرباط ٢٠١٤.

* نأتي إلى الشق الثالث في صناعة الإسلاموفوبيا، المتمثل في طائفة من المثقفين والإعلاميين يتربعون على المشهد الإعلامي. كان الباحث الفرنسي فينسن جيسي (Vincent Geisser) من أوائل الذين نبهوا للأمر حينما نشر بحثه "**الإسلاموفوبيا الجديدة**" سنة ٢٠٠٣، مستعرضا جملة من الأسماء منبها إلى خطورة دورها في صنع التوتر بشأن الإسلام في فرنسا. هذا الاتهام للمثقفين يتكرر ثانية في المؤلف المشترك لعبداللالي حجات ومروان مُحَمَّد اللذين تناولا كيفية صنع النخبة الفرنسية مشكلة الإسلام. ذلك أن "صناعة الخوف من الإسلام" قد سادت في العديد من الأوساط الإعلامية الأوروبية حتى تسببت في تلويث المخيال الغربي. ففي مؤلف يرصد التأثير القوي للتلفزيون تناول "قناة الراي" الإيطالية، يورد إحالة مفردات على غرار "الإسلام" و "الله" إلى دلالات مثل "الأصولية" و"الإرهاب" و"الحجاب"[٢٦].

"صناعة الخوف من الإسلام" قد سادت في العديد من الأوساط الإعلامية الأوروبية حتى تسببت في تلويث المخيال الغربي.

تبْقى الصحفية أوريانا فالاتشي التي تقدّم نفسها بأنها "مسيحية ملحدة" الأبرز في هذا السياق، بعد صدور مقالها الشهير "**الغضب والكبرياء**" على أعمدة صحيفة "كوريري ديلاسيرا"، في سبتمبر ٢٠٠١، والذي تحول لاحقا إلى كتاب. وحين تبلغ مواضيع العنصرية وإثارة الكراهية مستويات "الباست سالر" مع فالاتشي وتحقق أعلى المبيعات، يصبح حوار الحضارات كوميديا هزلية.

الإسلام الأوروبي والتعويل المدني في دفع بليّة الإسلاموفوبيا:

غالبا ما أتت عمليات التصدي للإسلاموفوبيا في أوروبا من مبادرات قاعدية من المجتمع المدني، وكانت غير مدعومة من قبل الهيئات الإسلامية، الرسمية أو شبه الرسمية[٢٧]. فالعمل الإسلامي في أوروبا، الذي يتوزع عادة بين ثلاثة أطراف: التنظيمات الرسمية وشبه الرسمية، والتنظيمات الإخوانية (اتحاد الجاليات

[26]. Carlo Marletti, *Televisione e islam: immagini e stereotipi dell'islam nella comunicazione italiana*, RAI-Nuova ERI, Roma 1995, p. 143.

[٢٧]. على غرار الهيئة العليا للشعائر الإسلامية في بلجيكا، والمركز الإسلامي في روما، ومسجد باريس.

والجمعيات الإسلامية في إيطاليا–*UCOII*)، وكوكبة تنظيمات المهتدين والصوفيين (نموذج الرابطة الدينية الإسلامية في إيطاليا–*COREIS*)، تتخلله العديد من الحساسيات. ما يجعل أبرز المشاكل التي تواجه العمل الإسلامي في أوروبا وهي الوصاية عليه من قِبَل أطراف موالية للخارج أو الداخل، لا تضع نصب عينها المصالح الفعلية للمسلمين في الغرب. "صناعة الخوف من الإسلام" قد سادت في العديد من الأوساط الإعلامية الأوروبية حتى تسببت في تلويث المخيال الغربي.

الفتور في الهيئات الإسلامية، تجاه مسألة الإسلاموفوبيا، قابَلَه تعويل مدني ذاتي، عبر تشكّل نوى أهلية بقصد التصدي للظاهرة.

لكن ذلك الفتور في الهيئات الإسلامية بنوعيها، تجاه مسألة الإسلاموفوبيا، قابَلَه تعويل مدني ذاتي، عبر تشكّل نوى أهلية بقصد التصدي للظاهرة. انبعثت في مجملها عن جمعيات ورابطات وتجمعات أسسها مسلمون ناشطون في المجتمع المدني وفي مقاومة العنصرية. ففي فرنسا على سبيل المثال بدأ النشاط ضد الإسلاموفوبيا مع "حركة الهجرة والضواحي" سنة ١٩٩٥ (*Mouvement de l'Immigration et des Banlieues*)، ثم تطور مع العام ٢٠٠٠ إلى تشكيل رابطات تركّز على قضايا محددة، مثل رابطة "مدرسة للجميع رفضا لقانون العزل" (*Une école pour tous -tes –contre le exclusion d'lois*). ومن الهيئات التي تواجدت في فرنسا مبكرا أيضا وأولت المسألة اهتماما "التجمع المناهض للإسلاموفوبيا" (*Collectif contre l'Islamophobie en france*). وعلى غرار ذلك برز في إنجلترا "منتدى مقاومة الإسلاموفوبيا والعنصرية" (*Islamophobia and Racism Forum against*) و"لجنة مسلمي بريطانيا والإسلاموفوبيا" (*Islamophobia Muslims and Commission in britsh*) وهي هيئات ذات طابع غير حكومي. أما في إسبانيا فقد أُحدثت العديد من المواقع الإلكترونية تعمل في هذا الاتجاه. في حين في بعض الدول الأوروبية الأخرى التي لم تتشكل فيها هيئات مناهضة للإسلاموفوبيا، فقد تواجدت داخل لجان مراقبة الميز العنصري ورعاية حقوق الإنسان نواتات للتصدي للإسلاموفوبيا. مع كل هذه التطورات لا تزال مسألة الإسلاموفوبيا غائبة عن الهيئات الرسمية كالمكتب الوطني لمناهضة التمييز العنصري في إيطاليا (*Uffici Antidiscriminazioni Nazionale o Razziali*)، باعتبار الإسلام يشكل مشكلة وليس ضحية.

لكن يبقى النشاط الأبرز في بلجيكا، حيث ظهرت منظمة حقوق المسلمين (*s' Rights Belgium Muslim*) سنة ٢٠١٢، التي تسعى للحدّ من أشكال التمييز وترسيخ الوعي بالكرامة البشرية. كانت المنظمة قد نشرت تقريرا بعنوان "**الكتاب الأبيض بشأن وقائع الإسلاموفوبيا في بلجيكا**" أحصت فيه ٧١٣ حادث انتهاك، خلال العام ٢٠١٣ توزعت كالتالي:

	التعليم	الشغل	الخدمات	الثقافة والإعلام	العلاقات الخاصة	أخرى	المجموع العام
عدد الحالات	١٩٣	١٧٢	١٢١	١٠٥	٩٩	٢٣	٧١٣
النسبة المئوية	% ٢٧،١	% ٢٤،١	% ١٦،٩	% ١٤،٧	% ١٣،٩	% ٣،٣	% ١٠٠
إناث	٧٨,٨	٧٣،٣	٧٠،٢	٥٥،٢	٦٤،٦	٧٨،٣	٧٠،٥
ذكور	٢١،٢	٢٦،٧	٢٩،٨	٤٤،٨	٣٥،٤	٢١،٧	٢٩،٥

المصدر: التقرير السنوي عن الإسلاموفوبيا في بلجيكا ٢٠١٣. صادر عن منظمة (*Muslims' Rights Belgium*)

يُصدِر المكتب الوطني لمناهضة التمييز العنصري في إيطاليا تقريرا سنويا، تسهر عليه نخبة من الخبراء، يعدّ الأهم في متابعة قضايا الهجرة. في سائر التقارير لم يقع التطرّق لا من قريب ولا من بعيد لموضوع الإسلاموفوبيا ولا العربوفوبيا ولا المروكينوفوبيا*. ليس لأن هذه الظواهر غير موجودة، ولكن لأن النكران والتغاضي يستمد كلاهما قوته من كون الضحية غير واع بأنه ضحية.

*. مَرُوكِينو نعت لعرب إيطاليا وفي مدلوله اللغوي يعني المغربي.